# جدليةُ الأنا والآخر (الأصولُ والمفهومُ والنظرية)

أ. د. شريف بشير أحمد
كلية الآداب – جامعة الموصل

**الملخص:**
جسَّدتْ علاقةُ الأنا بالآخرِ جدليةَ الصِّراعِ الماديِّ والمعنويِّ بين الإنسانِ والإنسان، وبين فلسفةِ الفكرِ ومنظومةِ المرجعيةِ الثقافيةِ في الواقعِ والوجودِ، وتحوَّلتْ منَ الثنائيةِ إلى بناءِ الكينونةِ الذاتيةِ، وتقويضِ الآخرِ؛ ثم أصبحت العلاقةُ بينهما موضوعًا مُتباينًا بأدبياتٍ مُختلفةٍ، ومُؤثِّراتٍ فكريةٍ تستلزمُ دراسةً نقديةً واعيةً تستندُ إلى مرجعيةٍ فلسفيةٍ، و مُهيِّجاتٍ نفسيةٍ ، وسياقاتٍ أدبيةٍ بآفاقٍ وجوديةٍ ، ومعالمَ توصيفيةٍ وتكوينيةٍ مُكثَّفةٍ ومُتختزلَةٍ في الرؤيةِ والتشكيلِ؛ إذ تُمثِّلُ صورةُ الأنا والآخرِ تجربةً ذاتيةً- فرديةً تبادليةً في سياقٍ لغويٍّ يتحوَّلُ بهما السردُ من الخَفاءِ إلى الكشفِ والتجلِّي، ومن المعاني المُجرَّدةِ إلى المباني المُكتظَّةِ بالدلالاتِ، ومن الباطنِ المخفيِّ إلى الظاهرِ المُعلنِ، ومن التجريدِ الذهنيِّ إلى التجسيدِ الصُّوريِّ، ومن المُنغلقِ إلى المُنفتحِ؛ ومن التلويحِ إلى التصريحِ، ومن الإشارةِ إلى العبارةِ؛ لأنَّ الآخرَ يحملُ قيمًا حضاريةً وثقافيةً وسياسيةً تُقابلُ الأنا في الجُذورِ والبواعثِ والمُؤثِّراتِ، وتُخالِفُه في الرؤيةِ؛ لأنهما جوهرانِ مُنفصلانِ في الوجودِ.
يلفتُني بداهةً سُؤالٌ حواريٌّ: هل صورةُ الآخرِ التي تصطنعُها الأنا غايةٌ في ذاتِها؟ أم أنَّه وسيلةٌ فكريةٌ باللغةِ الناصَّةِ؛ لتحقيقِ غايةٍ ووظيفةٍ خافيةٍ أو مُعلنةٍ؟ وهل تضعُ الأنا الآخرَ هنا بجوارِها المكانيِّ والذهنيِّ والموضوعيِّ أم تُلقيهِ هناكَ بعيدًا عنها في عالمٍ قصيٍّ ضبابيٍّ شائهٍ؟ أم تضعُه هنا تارةً وهناكَ تارةً أُخراةً ؟ أم تضعُه هنا وهناكَ معًا؟ أم تُلغيهِ هنا وتُقصيهِ منْ هناك؟ وهل يُسهمُ الآخرُ مُساهمةً تأثيريةً بقصديةٍ واعيةٍ في صياغةِ مواقفِ الأنا الآنيةِ والمُستقبليةِ، وتشكيلِ رُؤاها في الواقعِ والوجودِ والعالمِ، وتحديدِ مساراتِ حركتِها العفويةِ الفجائيةِ المُباشرةِ، أو العمديةِ بقصديةِ التفاعُلِ والتواصُل، أو التنافُرِ والتفاخُرِ والقطيعةِ؟ وهل تختلفُ صورةُ الآخرِ في النصّ الشعريّ في الوقائعِ والسلوكياتِ والقيمِ والصفاتِ عن الحقيقةِ الواقعيةِ تعديلًا وتهذيبًا، أو تشويهًا وتحقيرًا وتقزيمًا؟ وهل تختلطُ صورةُ الآخرِ في الأذهانِ والعقولِ بالسَّلبيةِ والعِدائيةِ التي تُغلِّفُها العُموميةُ والصُّورُ النمطيةُ المُستنسَخةُ، أم أنها تستندُ إلى حقائقَ موضوعيةٍ؟

# Dialectics of the Ego and Other (Origins ،Notion ،and Theory)

**Prof. Dr. Shareef Bashir Ahamed**
**College of Arts ،University of Mosul**

**Abstract:**
The relationship between ego and the other has embodied physical and moral conflict between man and man on the one hand ،and thought philosophy and systemization of the cultural preferentiality in reality and existence ،on the other hand. It has been shifted from duality to establishing self being ،and contravening the other . The relation ,thus ،has become discrepant issue in different literatures ,and intellectual efficiencies demanding well-aware critical study based on philosophical preferentiality ،psychological trends ،literary contexts ،and descriptive features in terms of vision and form. The image of ego and the other represents self experience – exchangeable individual - in linguistic context from which implicit narration shifted to explicit one ; from abstract meanings to overloaded structures ;and from mental abstract to imaginary embodiment .This is why the ego has cultural and political values that converge the ego in terms of roots ،motives and effects whereas diverge him in terms of vision because they are separate in the existence.

***الأنا والآخر (ثنائية الوجود):**
إنَّ (الأنا والآخرَ) ثنائيةٌ جدليةٌ، ومُقابَلةٌ وجوديةٌ تحتكمُ إلى الآفاقِ الحسيةِ والبصريةِ في عالمِ الموجوداتِ المُتحرّكةِ في الوجودِ بعالمٍ تحضرُ فيه الماديةُ والمرئياتُ والتصوراتُ في سياقِ المنفعةِ والمُتعةِ؛ ومُفارقةٌ فلسفيةٌ بين ذاتينِ يتوسطُهما موضوعٌ تتحفَّزُ فيه العلةُ والجوهرُ، والظاهرُ والباطنُ، والنفسُ والعقلُ، والإدراكُ والحدسُ، والحقيقةُ واليقينُ. ووجودُ (الأنا والآخر) ليس مرهونًا أو مُرتبطًا بمعرفةِ أحدِهما بسواهُ؛ وكلٌّ منهما وجودٌ مُستقلٌّ عن الذاتِ الغيريةِ، وما لا يُدركُه العقلُ، يُدركهُ الحسُّ؛ لأنَّ((الوجودَ هو الإدراكُ)) (١)؛ فإذا كان (الآخرُ والأنا) موجودانِ فهما مُدْرَكٌ ومُدْرِكٌ في آنٍ معًا وجودًا مشروعًا ومشروطًا؛ لأنَّ ((الإحساسَ بالآخرِ يسبقُ الشعورَ بالذاتِ داخلَ الثقافةِ الواحدةِ وخارجَها؛ بل إنَّ الشعورَ بالذاتِ لا يتحقَّقُ إلا بالآخرِ؛ ذلك أنَّ الإنسانَ مشروعُ وجودٍ، ولا يتحقَّقُ هذا المشروعُ إلا بآخرَ يلعبُ دورًا في تجسيدِ الذاتِ، وتحديدِ ملامِحها)) (٢)؛ فتكونُ العلاقةُ تبادُليةً بين الأنا والآخرِ ووجودًا بالمعيةِ.
والحقيقةُ الوجوديةُ والفكريةُ، تعترفُ أنَّ الآخرَ كائنٌ حيٌّ حيويٌّ واقعيٌّ غَيريٌّ، وضرورةٌ إنسانيةٌ منْ ضروراتِ الوجودِ الفكريِّ والمعرفيِّ، وكينونةٌ مُتحرّكةٌ في العالمِ الماديِّ والبناءِ الموضوعيِّ خارجَ الذاتِ الأنويةِ، قريبًا منْ مواطنِ أمنِها وأمانِها، أو بعيدًا عن مواطنِها؛ ليس ثابتًا ثباتَ الجمادِ، ولا راكدًا ركودَ السَّواقي، ولا هامدًا همودَ الأجداثِ؛ بل هو حُضورٌ مُتحرّكٌ مُتغيّرٌ مُتفاعلٌ مع

(١) فلسفةُ باركلي: يحيى هويدي، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م، ص ٤٣.
(٢) الذات والآخرُ في الشرق والغرب( صور ودلالات وإشكاليات): د. حسن شحاتة، دار العالم العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٩ه/٢٠٠٨م، ص١١٩.

الشخصيةِ والحدثِ والرؤيةِ تفاعلًا سلبيًّا أو إيجابيًّا في نسقٍ مُشخصَنٍ يتحوَّلُ من التصورِ الذهنيّ إلى النشاطِ اللغويّ، والأداءِ السلوكيّ. وقد تظهرُ الأنا والآخر في مضمارٍ واحدٍ تتعاونانِ فيه أو تتغالبانِ، أو يظهرانِ في مِضمارينِ مُتوازيينِ أو مُتوافقينِ أو مُتصارعين في زمنٍ واحدٍ أو أزمنةٍ مُتعاقبةٍ مُتقاربةٍ أو مُتباعدةٍ. ولو كانَ الآخرُ وجودًا صامتًا ساكنًا لا حياةَ فيه ولا حيويةَ؛ لفقدَ الحوارُ أو الصراعُ أو الصِّدامُ مُسوِّغاتِ وجودِهِ اللغويّ والفكريّ، ولكانت الأنا تعيشُ في عالمٍ من الأوهامِ والهواجسِ وأضغاثِ الأحلامِ. وتكشفُ جدليةُ الأنا والآخرِ أنَّ كل واحدٍ منهما ((يجبُ أنْ يكونَ موضوعًا وشيئًا بالنسبةِ للآخرِ.. وهذا التشيؤ هو ما يستطيعُ أن يشرحَ مفاهيم معقدةً كالصراعِ والفشلِ والعنفِ)) [٣]؛ لأنَّ التعدديَّةَ الثقافيةَ في الوجودِ مظهرٌ حضاريٌّ بقيمٍ إنسانيةٍ، واحترامُ ثقافةِ الآخرِ المُختلفِ، وفهمُها سبيلٌ ناجعٌ من سُبلِ التواصُلِ المُجتمعيّ والجماعيّ، وبناءِ أواصرِ التفاهُمِ والتعايشِ والمُجاورةِ مع المؤتلفِ والمُختلفِ والمُهمَّش.

وإذا كان (الشخصُ) يحتوي (الأنا)؛ فإنَّ (الأنا) تتمظهرُ فيه، لأنَّ ((الأنا موجودٌ في كلِّ إثباتِ وجودٍ)) [٤] ؛ و(الشخصُ) هو المظهرُ المرئيُ للأنا موضوعيًّا ووجوديًّا؛ لأنَّ (الشخصَ هو التمثيلُ الموضوعيُّ للأنا؛ أي إنه المصداقُ الواقعيُّ لمفهومِ الأنا، وتعبيرُ الشخصِ يدلُّ على الكائناتِ العاقلةِ)) [٥]؛ فيكونُ الشخصُ تعبيرًا عن الإنسانِ بوصفهِ كائنًا حيًّا عاقلًا بلا خُصوصيةٍ معرفيةٍ أو كفاءةٍ فكريةٍ؛ أما المعرفةُ فإنها تصطنعُ (الذاتَ الواعية) التي تقومُ بها الشخصيةُ؛ فتكونُ الذاتُ الواعيةُ نسقًا أو أنساقًا معرفيةً مُكتسبةً، وليستْ بجيناتٍ وراثيةٍ؛ لتكونَ مكوِّناتُ الشخصيةِ نفسيًّا ووجدانيًّا((الشعورُ وما قبل الشعورِ واللاشعور)) [٦] ، وتكونُ الشخصيةُ مصطلحًا عن الإنسانِ بوصفهِ ذاتًا معرفيَّةً بمرجعياتٍ ثقافيةٍ مُتنوِّعةٍ؛ وبذلك تُصبحُ الشخصيةُ التي تتماهى الأنا في إهابِها، أو تتمظهرُ في ذاتٍ أنويةٍ مُقابلًا موضوعيًّا للآخرِ بوصفهِ شخصيةً بذاتٍ واعيةٍ مُختلفةٍ. والأنا هي ((المُتكلِّمُ نفسُه، وهو القائلُ حسبَ وعيهِ لقولِه ولمقالِه بالذاتِ، فالأنا ما تقولُه لغيرِها، وهي عنوانٌ أعلى ومُركَّبٌ علائقيٌّ يتمحورُ فيه الأنا والآخرُ والموضوعُ كمنظومةٍ للأنا فلسفيًّا)) [٧] .

وإذا كان مفهومُ الأنا فكريًّا أنها((شعورٌ بالوجود الذاتي المُستمرِ والمُتطور بالاتصالِ بالعالمِ الخارجي)) [٨] عالمِ الآخرِ، والعالمِ الموضوعيّ؛ فإنَّ الآخرَ في المفهومِ المُقابلِ له ((اسمٌ خاصٌّ للمُغايرِ في الماهيةِ، ويُقابلُ الأنا)) [٩]؛ وبذلك تتمظهرُ العلاقةُ بين (الأنا والآخر) في الوجودِ بالزمنِ وعبرَ الزمنِ بالتمرئي والتسامي والتعالي، أو بالمواجهةِ وجهًا لوجهٍ، وبهذا الفهمِ الفلسفيّ والوجوديّ لا يُمكنُ أنْ يكونَ الآخرُ موجودًا من غير نزعةِ الوجودِ في الأنا.

***الغيرُ(من الكان إلى الآخر):**

قد يحضرُ(الغيرُ) في سياقاتٍ فلسفيةٍ واجتماعيةٍ مساويًا للآخرِ في المفهومِ والفهمِ تصريحًا أو تلميحًا عند كثيرٍ من المفكرينَ الذين يعتقدونَ أنهما بمنزلةٍ واحدةٍ[١٠]؛ لكنهما في المنظورِ اللغويّ والفهمِ السياقيّ والتركيبِ النسقيّ مُختلفانِ في القيمةِ، ومُتباينانِ في الصفةِ والفعلِ؛ وإنْ تساويا في حقيقةِ الوجودِ؛ لأنَّ الغيرَ هو المُبهمُ الذي لا تؤثِّرُ كينونتُه في كينونةِ الأنا، و لا تؤثِّر الذاتُ في كينونتِه ، وهو مُنغلقٌ على ذاتِه التي لا تمتلكُ المعرفةَ؛ فهو((بنيةٌ مُغلقَةٌ تتجلَّى في المُمكنِ الإدراكي،وهي تعبيرٌ عن عالمٍ ممكنٍ، ومعرفةُ الغيرِ يجبُ أن تكونَ معرفةً بنيويةً)) [١١]؛ وليست معرفةً فلسفيةً وجوديةً؛ وكأنَّ الغيرَ والشخصَ مُتناظرانِ في المفهومِ ومُتساويانِ في الدلالةِ الإشاريةِ؛ فيكونُ الغيرُ ((أحد تصوراتِ الفكرِ الأساسيةِ، ويُرادُ ب ما سِوى الشيء مما هو مُختلفٌ أو مُتغيرٌ عنه، ومعرفة الغيرِ تُعينُ على معرفةِ النفسِ)) [١٢]؛ وربما أُصيبُ بمقولةٍ منطقيةٍ مُستنبَطةٍ: إنَّ الشخصَ والغيرَ للعمومِ بلا خُصوصيةٍ أو تخصيصٍ قي الفكرِ والوعي، وأنَّ الآخرَ الواعي تستدعيه الذاتُ الواعيةُ المُتغلغلةُ في الأنا في رحلةِ البحثِ عن الذاتِ، ليكونَ كلُّ الغيرِ الآخرَ، ولا يكونُ كلُّ الآخرِ غيرًا، وتكونُ الشخصيةُ مُتماهيةً في الذاتِ الواعيةِ.

ولا أحسبُ قارئًا فهيمًا يعتقدُ أنَّ عوالمَ الطبيعةِ من جبالٍ وأنهارٍ ورياضٍ؛ تُمثِّلُ الآخرَ، أو أنَّ النجومَ والأفلاكَ ومداراتِها ؛ يتجسَّدُ فيها الآخرُ، أو أنَّ الحيوانَ وعوالمَه الأليفةَ والوحشيةَ يحتقبُها الآخرُ، أو أنَّ الأمكنةَ بذاتِها يتمظهرُ فيها الآخرُ، أو أنَّ ما لا يعقلُ في الوجودِ والكونِ والواقعِ يصلحُ أنْ يكون الآخرَ؛ لأنَّ الآخرَ في حقيقتِه كائنٌ عقلانيٌّ، يعقلُ ويُفكرُ ويُفصحُ ويُبينُ؛ وهو من جنسِ الأنا في أصلِ الخليقةِ، وإنْ بايَنَه في التوصيفِ البيولوجيّ؛ فالأنا والآخرُ كينونةٌ إنسانيةٌ واعيةٌ؛ وما عدا ذلكَ مُسخَّرٌ لخدمتِهما، ومُوظَّفٌ لإظهارِ قُدراتِهما؛ لتحقيقِ التكامُلِ في الوجودِ. فالآخرُ ((في أبسطِ صُورِهِ هو مثيلُ الذاتِ أو الأنا، أو نقيضُ الذاتِ أو الأنا، ولا يمكنُ الحديثُ عن الآخرِ بمعزلٍ عن الذاتِ)) [١٣]؛ وسواءٌ أكانَ الآخرُ الخصمَ الذي يصطدمُ مع الذاتِ، ويتمردُ عليها، أم كان صديقًا يتعاطفُ معها، ويُبادلُها حبًّا بحبٍّ ؛ فإن الأنا في كلتا الحالتين لا تستطيعُ العيشَ بدونِ الآخرِ[١٤] بسببِ التلازُمِ الوجوديّ؛

---

(٣) الأنا والآخر والجماعة( دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه): سعاد حرب، دار المنتخب، بيروت ، ط١، ١٤١٥ه/١٩٩٤م، ص١٣٨.

(٤) فشته( فيلسوف المقاومة): حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٩٠.

(٥) الذاتُ والغير ( بين المفهومِ الكلي والمفاهيم الفرعية): د. محمد رضا زائري، مجلة الاستغراب، العدد(١٠)،السنة الرابعة، شباط ٢٠١٨م/ ١٤٣٩ه، ص ٣٤٥.

(٦) الأنا والهو: سيجموند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط٥، ١٩٨٨م، ص١٤، مقدمة المُترجم.

(٧) الأنا في الشعر الصوفي(ابن الفارض أنموذجًا): عباس يوسف الحداد، دار الحوار، ط٢، اللاذقية- سوريا، ٢٠٠٩م، ص١٩٠.

(٨) المعجم الأدبي: عبد النور جبور، بيروت، ط٢، دار الملايين، ١٩٨٤م، ص٣٦.

(٩) المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية: عبد المنعم الجفني، مكتبة مدبولي، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٩.

(١٠) ينظر: الذات والآخرُ في الشرق والغرب( صور ودلالات وإشكاليات): ص١٨-٢٥.

(١١) الذات والآخر في الشرق والغرب، ص ٢١.

(١٢) المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، القاهرة - مصر، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٣٤.

(١٣) المُثاقفةُ النقديةُ وسؤال الهوية( تفاعل الذات والآخر): سامي الوافي، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية، العدد الثاني، لسنة٢٠١٤م، ص ٤.

(١٤) ينظر: جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي( دراسة نصية): فاضل أحمد الكعود، دار غيداء، ط١،عمَّان- الأردن، ٢٠١٢م، ص ٣٤.

لأنَّ((الآخرَ هو السِّوى المُغايرُ)) [١٥]؛ولأنَّ ((وجودَ الأنا من وجودِ الآخرِ، وغيابُ الأنا من غيابِ الآخرِ، ولا يمكنُ أنْ ندركَ ذواتنَا إلا بوجودِ الآخرِ الذي هو مرآةٌ تعكسُ لنا الذاتَ... فتحدثُ الصورُ التواصليةُ أو الانفصاليةُ بين الذاتِ والآخرِ)) [١٦]. وقبلَ أنْ تفهمَ الشخصيةُ الواعيةُ الآخرَ؛ عليها أنْ تفهم ذاتها بما تحملُه من خصائص ثقافيَّةٍ وفكريةٍ وحضاريةٍ، وتفهمَ ما تحملُه من أفكارٍ وقيمٍ وطموحاتٍ؛ لأنَّ ((الوعيَ بالذاتِ هو الانعكاسُ المُشتقُّ عن حضورِ العالمِ الحسيّ والعالمِ المُدركِ، والوعي بالذاتِ ماهيتُه العودُ إلى ذاتِه ابتداءًا من المُغايرة)) [١٧]؛ وبذلك تتكوَّنُ صورةٌ للذاتِ قبل أن تتكوَّنَ صورةٌ للآخرِ ، و((منْ ينفي الآخرَ ينفي ذاتَه؛ لأنَّ الآخرَ مُكمِّلٌ للذاتِ، ومَنْ يختزل الآخرَ يختزل ذاته)) [١٨] ؛ ولأنَّ حضورَ الآخرِ في الذاتِ يضعُ الذاتَ والآخرَ في سياقِ علاقةٍ تراتبيةٍ تجمعُ في نسقِها بين المُلاحظِ والملحوظِ.

ولا أظنُّ الأنسنةَ(التشخيص والتجسيم) من سياقاتِ الأنا والآخر؛ لأنَّ ذلكَ موصولٌ بالذاتِ الواعيةِ أولًا، وبكفاءةِ الأنا الشاعرةِ في كسبِ الموجوداتِ خدمةً لوجودِها الذي تُقابلُ به الآخرَ؛ فتتكوَّنُ ثنائية(الأنا والآخر) التي تحضرُ فيها ثنائيةُ السالبِ والموجبِ، والذاتِ والموضوعِ، والتراثِ والتجديدِ، والمُحافِظِ والمُجدِّدِ، والوافدِ والموروثِ، وتتجسَّدُ في(الأنا والآخر) ثنائياتٌ عقائديةٌ وفكريةٌ وفلسفيةٌ مُتقابلةٌ في تأريخيةِ الحضارةِ؛ فالفلسفةُ الإسلاميةُ هي الأنا، والفلسفةُ اليونانيةُ هي الآخرُ، وكذلك الصراعُ بين المذاهب؛ فالمُعتزلةُ هم الأنا والأشاعرةُ هم الآخرُ، والشريعةُ هي الأنا والفلسفةُ هي الآخرُ، والسُّنةُ هي الأنا والتصوفُ هو الآخرُ؛ وكذلك الصراعُ الحضاريُّ والفكريُّ بين الأصالةِ والمُعاصرةِ، والتنويرِ والتأصيلِ؛ وبمعكوساتِها كافةً تتحقَّقُ تبادُليةُ التوظيفِ بين الأنا الذي يحتقبُ الآخرَ، والآخر الذي يحتجنُ الأنا؛ لأنَّ ((أيَّ تطويرٍ للذاتِ في حاجةٍ إلى لقاءٍ مع آخرَ مُختلفٍ، يُمكنُ الاستفادةُ من معارفِهِ؛ وحتى حين نُواجِهُه نتعرَّفُ على نقاطِ ضعفنا؛ فنندفعُ إلى تغييرِها؛ مثلما نتمسَّكُ بمزايانا؛ وبذلك يتبيَّنُ لنا أن معرفةَ الذاتِ على حقيقتِها تكونُ عبر الاحتكاكِ بالآخرِ)) [١٩] . ويجبُ أن نُدركَ جميعًا أنَّ الآخرَ ليس وهمًا؛ لأنَّ الأوهامَ مُوجِباتُ القلقِ، والقلقُ المأزومُ عقدةٌ نفسيةٌ تقتربُ من المرضيةِ التي تستلزمُ علاجًا سلوكيًّا أو دوائيًّا. والذي ((يكشفُ عن وجودِ نفسِه؛ إنما يكشفُ في الوقتِ نفسه عن وجودِ غيرِهِ؛ بل إنَّ وجودَ الغيرِ شرطٌ لوجودِهِ الذاتي)) [٢٠] . وقد يكونُ الآخرُ نموذجًا للشرّ والعدوان، ويُمارسُ العدائيةَ مع الأنا بالمفهومِ السياسي والثقافي والعقائديّ، ولا أظن أنَّ الآخرَ هو العدو الأزليُّ والشرَّ الأبديَّ، والحجيم المُطلق؛ لكنَّ يحملُ في تضاعيفِه أبعاضَها؛ لذلك ((تروم الأنا التعرُّفَ إلى كُنهِ الآخر، وقد تحاولُ السيطرةَ عليهِ بغيةَ تسخيرِهِ؛ لتحقيق مقاصد بعينِها....وخلافًا لفعلِ السيطرةِ قد يَتخذُ التسخيرَ سُبُلًا أكثرَ مراوغةً كالإقناع البيانيّ، والتعاطفِ الجياش، والملَقِ المُزيَّفِ، والإذعانِ المُطلقِ)) [٢١].

*** الأنا والآخر (التوافقُ والتباين في الوعي):**

حين تكونُ رؤيةُ الأنا مُتخالفةً مع رؤيةِ الآخرِ؛ نجدُ الصّراعَ الجدليَّ الواقعيَّ بمُؤثِّراتٍ ماديةٍ؛ يبدو ويتجدَّدُ ويتمدَّدُ. وحين يتناقضُ منهجهمُا؛ يحدثُ التهميشُ الإراديُّ، وحينَ تتناقضُ عقيدتُهما يظهرُ الإقصاءُ القصديُّ، ويتطورُ إلى المحوِ الماديّ والوجوديّ. وحين تكونُ رؤيةُ الآخرِ للعالمِ مُتوافقةً مع رؤيةِ الأنا؛ ووجودُهُ في عالمٍ مُماثلٍ لها؛ تتغلغلُ الرؤيتانِ في نسقٍ توافقيّ، وسياقٍ تعضيديّ تبنيه المواءمةُ في العالمِ الواقعيّ؛ لأنَّ((الوعيَ العقليَ بالذاتِ، هو في ذاتِه ولذاتِه الواقعُ كله)) [٢٢]، أي أنَّ الذاتَ الواعيةَ والوجودَ الحقيقيَّ يُشكِّلانِ ماهيةً واحدةً في فلسفةِ الوجودِ، وتكوين العقلِ؛ لأنَّ الذاتَ فلسفيًا ووجوديًّا ونفسيًّا

((تكوينٌ معرفيٌّ مُنظَّمٌ ومُتعلِّمٌ للمُدركات الشعوريةِ والتصوراتِ التي تحددُ خصائصَ الذاتِ، والصورةُ التي يُعتقَدُ أنَّ الآخرَ في المجتمعِ يتصوَّرُها، ويتخلَّلُها بالتفاعُلِ الجتماعيّ مع الآخرين)) [٢٣].

وتحاولُ الأنا أن تختصَّ بالمركزيةِ والسُّلطويةِ التي تتقمَّصُ محوريةَ التفوقِ على الآخرِ، وتطويعِه، وتُسوِّغُ تحجيمَهُ بمساراتٍ موضوعيةٍ أو سياقاتٍ غير موضوعيةٍ؛ لكي تتبلورَ شخصية(الأنا) فوقيةً تتضاءَل دونَها شخصيَّةُ (الآخرِ)؛لأنَّ موقفَ الأنا منَ الآخرِ ينطلقُ منْ مُؤثِّراتٍ ثقافيةٍ معرفيةٍ، ودينيةٍ عقائديةٍ، وفلسفيةٍ وجوديةٍ؛ تتخلَّلُها نوازعُ سياسيةٌ نرجسيةٌ. ولكي نفهمَ الآخرَ؛ فعلينا نحن أنْ ((لا نكون سلبيينَ للآخرِ لمجردِ أننا الآخرُ بالنسبةِ له، والآخرُ لا يكونُ سلبيًّا لمجردِ أنه الآخرُ بالنسبةِ لنا، وعندما نتكلمُ عن الآخر فنحنُ لسنا مقياسًا، ولسنا معيارًا، ومَنْ يختلفْ عنَّا فليسَ شاذًّا، وليس ناقصًا، وليس غريبًا؛ تمامًا كما أننا لسنا شاذينَ، ولسنا ناقصينَ، ولسنا غرباءَ بالمقارنةِ مع الآخرِ)) [٢٤]؛ لأنَّ صورة الآخرِ مُرتبطةٌ بالأنا في سياقِ فعاليةٍ جدليةٍ، وعلى الأنا أن تُدركَ خيرَ الآخرِ وشرَّهُ؛ فالانكماشُ والتقوقعُ على الذاتِ الفرديةِ لا يقودُ إلى بناءِ الذاتِ الواعيةِ؛ بل يُمثِّلُ الجمودَ العقيمَ؛ لأنَّ الوعيَ بالآخرِ((يعكسُ مفهومَ الأنا ورؤيةَ الذاتِ ومعرفتها وإدراكَها )) [٢٥] للوجودِ والواقعِ والحقيقةِ المعرفيةِ.

ولكي تُواجه الأنا الآخرَ فكريًّا وعقائديًّا وسلوكيًّا؛ عليها أن تتحصَّنَ تحصينًا ذاتيًّا بأنظمةٍ معرفيةٍ تخترقُ بها أنظمةَ الآخرِ، وتُعطِّلُ فاعليَّتَها، أو تحدُّ من تمدُّدِها؛ لأنَّ المخزوناتِ الذاتيةَ في الذاكرةِ الفرديةِ أو الجماعيةِ، أو المُتخيَّلاتِ الذهنيةَ والمروياتِ التأريخيةَ والقصصيةَ المُترسِّبةَ في اللاوعي، والمُتحكِّمةَ بالوعي؛ تُسهمُ في تشكيلِ مفهومٍ مُشخصَنٍ عن الآخرِ(الفردي والجماعي)، وتقومُ

---

[١٥] الفكر الوجودي عبر مصطلحه: عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٨٥م، ص٥.

[١٦] جماليةُ المراوغةِ والتوظيف الضمائري للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية: أ.حاتم زيدان، وأ.د.العبد جلولي، مجلة الأثر، الجزائر، العدد(٢٩)، ديسمبر ٢٠١٧م، ص ١٩٦.

[١٧] علم ظهور العقل: هيجل، ترجمة : مصطفى صفوان، دار الطليعة، ط٢، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٣٤.

[١٨] صورة الآخر في الرواية العربية: جمال شحيد، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العددان ١٠١-١٠٢، لسنة ٢٠٠٠م، ص ٢٢٠.

[١٩] إشكالية الأنا والآخر( نماذج روائية عربية): د. ماجدة حمود، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٩٨، الكويت، ربيع الأول ١٤٣٤ه/ ٢٠١٣م، ص ١٨.

[٢٠] دراسات في الفلسفة الوجودية: عبد الرحمن بدوي، المؤسسةُ العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، ٢٤٦.

[٢١] جدلية الأنا – الآخر: نجيب الحصادي، ط١، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦م. ص ٧.

[٢٢] نظرية الوجود عند هيجل: هربرت ماركيوز، ترجمة وتقديم: إبراهيم فتحي، دار التنوير، ط١، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٩٠.

[٢٣] الذات والآخر في الشرق والغرب، ص ٢٥.

[٢٤] هو الآخرُ بالنسبةِ لي، أنا الآخرُ بالنسبةِ له: سالم جبران، مجلة مشارف، حيفا، العدد (٢) لسنة ١٩٩٥م، ص٢١.

[٢٥] الأنا في الشعر الصوفي( ابن الفارض أنموذجًا)، ١٨٩.

بتشكيلِ صورةٍ عنه تحملُ خفايا الصَّراعِ أو الوفاقِ، أو البناءِ والهدمِ، أو التواصلِ والقطيعة. وحين ((يطغى إحساسُ الأنا بظلمِ الآخر وهيمنتِه؛ تُبادرُ إلى الدفاعِ عن نفسِها خشيةَ الذوبانِ؛ فتقوّي انتماءَها إلى الجماعةِ، وتتماهى بها من أجلِ الحصولِ على الاعترافِ ومواجهةِ الإقصاءِ، أو المسخِ الذي هو الموتُ؛ لذلك تبحثُ عن الهويةِ التي تتميَّزُ بها عن الآخرِ المُختلفِ، وتجمعُها بمنْ يأتلفُ معها؛ لكي يزداد إحساسُها بكينونَتِها)) (٢٦)، وكثيرًا ما تتحكَّمُ الأحكامُ القْبليَّةُ والرواسبُ التأريخيةُ المُؤدلجَةُ والتصوراتُ المُتوارَثةُ؛ تتحكَّمُ في سلوكِ الأنا وتحديدِ هويةِ الآخرِ، وزاويةِ الرؤيةِ إليه بنظرةٍ صحيحةٍ، أو ضبابيةٍ مُترجرجةٍ، أو خاطئةٍ. ويحرصُ الفكرُ الفلسفيُّ على((إبداعِ الأنا بدلًا منْ تقليدِ الآخرِ، وإلى إمكانيةِ تحويلِ الآخرِ إلى موضوعٍ للعلمِ بدلًا منْ أن يكونَ مصدرًا للعلمِ)) (٢٧) لأنَّ سوءَ الظنِّ بالآخرِ الذي يكونُ قريبًا منْ تخومِ الأنا يقودُ إلى القلقِ في الوجودِ من فُقدانِ الوجودِ، ويرسمُ صُورةً شائهةً مُضلِّلةً عن الآخرِ، وتقودُ إلى بناءِ أخيلةٍ مقيتةٍ مُنحرفةٍ في الفكرِ والسلوكِ والواقعِ؛ مما يدفعُ الأنا إلى أنْ تتلاعَب بالمُتناقضاتِ الواقعيةِ، و تُلصقُها بالآخر. وحين تتصاغرُ الأنا أمام الآخر، وتنظر إليه نظرةً تتضاءَلُ فيه أمامَه، وتضعُ نفسَها في مرتبةٍ أدنى منه؛ فإنَّ هذه النظرةَ ((تقودُ إلى تعطيلِ المقاومةِ الفكريةِ، وفعالياتِ الوعي والذات)) (٢٨)

ونُدركُ أنَّ الأنا والآخر في الواقعِ الماديِّ المُتزامنِ يتواجهانِ، ويتحاورانِ، ويتلاقيانِ وجهًا لوجهٍ، أو عبرَ وسيطٍ، وفي الأزمنةِ المُتباعدةِ يكونُ الحوارُ الثنائيُّ حوارًا بالكلمةِ والسياقِ والنسقِ والنظامِ المعرفيِّ؛ ((وأن ينسبَ المرءُ إلى ذاتِه حالةَ وعيٍ؛ فهذا يعني أنه أحسَّها وشعرَ بها، وأن ينسبَها إلى الآخرِ ؛ فهذا يعني أنه لاحظَها فيه... والقولُ بأنَّ حالةَ وعيٍ قد أحسَّ بها أحدُهما فهذا يعني أنه تُسندُ إلى الذاتِ عينِها)) (٢٩). وهنا تظهرُ فكرةُ الغيريةِ والترابط بين الأنا والآخر في معياريةِ النسبةِ، وحركية الذاتِ الفاعلةِ التي تتنقَّلُ في الخطابِ التداولي مع الآخرِ بين الإنشائيِّ والإخباريِّ والإنجازيِّ بمهارةِ السياقِ الإبلاغيِّ وكفاءَةِ التواصُلِ.

*** الأنا والآخر في النص (السياقُ والإحالةُ):**

إنَّ الأنا والآخرَ في النصِّ الشِّعريِّ يتواجهانِ باللغةِ، ويتصارعانِ بالفكرِ، إذ تستحضرُ الأنا الآخرَ، وتستدعيهِ بوعيها وإرادتِها ورغبتِها وقصديَّتِها، وعلينا أنْ نفهمَ فهمًا مُتوازنًا أنَّ الآخرَ في هذه الكيفيةِ قد لا يكونُ على حقيقتِهِ، وهيئتِه وصورتِهِ في واقعِه الذي نشأ فيهِ، وفي زمنِه الذي أقامَ فيه بنيتَه الماديةَ وبناءَه الفكريَّ؛ لكن الأنا الشاعرةَ، والذات الفرديةَ الواعيةَ؛ تصنعُ الآخرَ في السردِ والنسقِ والبناءِ اللغويِّ، وتُسبغُ عليهِ الوجودَ الوصفيَّ الذي يُضافُ إلى الوجودِ الماديِّ، وتبنيهِ أو تهدمُه وتلغيهِ بصوتٍ واحدٍ تتشعبُ منه الأصواتُ، وسياقٍ واحدٍ تتشظَّى منه السياقاتُ، وتنطلقُ في توصيفِه من منظورٍ أُحاديٍّ تتوحَّدُ فيه الشُّعبُ الوصفيةُ، والحزمُ الموضوعيةُ، وتتجمَّعُ القيمُ، أو تتناثرُ أنساغُها، وتتكسَّرُ أطيافُها.

وتحتكرُ الأنا الكفاءةَ والقدرةَ والرصانةَ والمنهجيَّةَ، وتجعلُ الآخرَ مُنحرفًا عن النسقِ المعرفيِّ والسياقِ العقلانيِّ، ومفاهيمِ المرجعيةِ وأنساقِها الثقافيةِ وضوابطِها الأخلاقيةِ؛ لذلك تمارسُ التسويغَ والتسويفَ والتطويعَ للوصولِ إلى الهيمنةِ الكليةِ على الآخرِ، وتتجاهلُ حقيقةَ الوجودِ الواقعيِّ والمعرفيِّ التزامنيِّ أو التعاقبيِّ للآخرِ؛ لترويجِ مفاهيمِها وأفكارِها وقيمِها إليهِ، ومن خلالِهِ؛ بتوظيفِ المنطقِ الذرائعيِّ؛ لكنَّ صورةَ الآخرِ في الذهنِ والوعي والواقعِ مُتباينةٌ في الفَهْمِ والسلوكِ والإدراكِ؛ لأنَّ معرفةَ الأنا بحقيقةِ الآخرِ تُشكِّلُ مُشكلةً معرفيةً لها رواسبُ في الحياةِ والوجودِ؛ وحين ((يتعرَّفُ الإنسانُ، بكونِه وعيًا، على ذاتِه؛ فإنه يتعرَّفُ أيضًا على الآخرينَ؛ لأنَّ وعيَ الذاتِ يتطلَّبُ تمييزًا بين الأنا والآخرِ، وبين الذاتِ والموضوعِ)) (٣٠) في المجالِ الحيويِّ الإنسانيِّ والفكريِّ؛ لكنَّ ((هيمنةَ القوةِ التي تشعرُ بها الأنا تمنحُها سلطةَ الهيمنةِ على ثقافةِ الآخرِ وهويتِه؛ وبذلك تنتفي المعرفةُ والفهمُ؛ لنفسحَ المجالَ إلى فرضِ أحكامٍ مُسبقةٍ عليه)) (٣١)

ولا بدَّ منْ تحقيقِ العلائقيةِ التواشجيةِ بين (الأنا) و(الآخرِ) وصولًا إلى صياغةِ مفاهيمَ موضوعيةٍ عن العالمِ، وبناءِ رؤيةٍ تقبلُ بالآخرِ، وتتعاملُ معه، وتتعرَّفُ إليه. وتتمُّ المعرفةُ بالعقلِ والحسِّ والحدسِ والتجريبِ والمنطقِ الرياضيِّ وفقًا لقاعةِ التحليلِ وقاعدةِ التركيبِ وقاعدةِ الإحصاءِ(٣٢). ومُحاولةُ الأنا النرجسية المُستعلية أنْ تجعلَ من الآخرِ مُتماهيًا معها في الرؤيةِ والموضوعِ والموقفِ والفعلِ؛ مُحاولةٌ يائسةٌ بائسةٌ؛ لأنَّ الآخرَ يمتلكُ الرغبةَ نفسَها في اللحظةِ ذاتِها؛ مما يجعلُ التماهي بينهما غير مُمكنٍ؛ تمنعُه الحواجزُ المُترسِّبةُ في العقليةِ التسلُّطية.

والآخرُ في النصِّ الشِّعريِّ معرفةٌ وثقافةٌ مُتراكمةٌ ومُكتسَبةٌ في آنٍ معًا، تتحوَّلُ من الحُضورِ الواقعيِّ أو المُفترَضِ خارجَ الذاتِ إلى مُمارسةٍ لغويةٍ بمحمولاتٍ موضوعيةٍ ودلاليةٍ لها مضامينُها المُهيمنةُ في السردِ الشِّعريِّ؛ إذ تتحكَّمُ في المنظومةِ الشِّعريةِ الأنا المعرفيةُ والذاتُ الشاعرةُ في زمنِ الإبداعِ الذي تُقامُ فيه حدودُ الآخرِ باللغةِ والصورةِ والمجازِ التعبيريِّ والتركيبيِّ، والتشكيلِ الجماليِّ الكليِّ والجزئيِّ؛ إذ تلجأ الذاتُ الواعيةُ إلى تأكيدِ شخصيةِ(الأنا) الإنسانية أو الشعريةِ المفقودةِ ذهنيًّا وواقعيًّا،أو المطلوبةِ في الحقيقةِ المعرفيةِ؛ لذلك تتضخَّمُ(الذاتُ والأنا) تضخُّمًا مُتماهيًا؛ وبذلك يكونُ الآخرُ في النصِّ الشعريِّ ((بنيةً لغويةً رمزيةً لا شعورية تساعدُ الذاتَ على تحقيقِ وجودِها ضمنَ علاقةٍ جدليةٍ بين الذاتِ ومُقابلِ لها هو الآخرُ)) (٣٣) ، وحين تحضرُ الذاتُ الواعيةُ في جلبابِ الأنا؛ تحضرُ بتراثٍ وميراثٍ مُتراكمٍ كأنَّه ((نظريةٌ للعملِ وموجِّهٌ للسلوكِ، وذخيرةٌ قوميةٌ يمكن اكتشافُها، وكشفُها، واستغلالُها، واستثمارُها؛ لإعادة بناءِ الإنسانِ وعلاقتِه بالآخر)) (٣٤) ؛ لكي لا تكونَ العلاقةُ بين الأنا والآخر علاقةً تصادميةً يحكمُها

(٢٦) إشكالية الأنا والآخر( نماذج روائية عربية)، ص٢١.
(٢٧) مقدمة في علم الاستغراب: د. حسن حنفي، الدار الفنية للتوزيع ، ط١، القاهرة، ١٩٩١م، ص٥.
(٢٨) نحن والآخر: محمد راتب الحلاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٩٧م، ص٣٤.
(٢٩) الذاتُ عينها كآخر: بول ريكور، ترجمة وتقديم وتعليق: د. جورج زيناني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٢٩.
(٣٠) الأنا والآخر والجماعة( دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه): سعدا حرب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٤١٥ه/١٩٩٤م، ص ١٧٢.
(٣١) إشكالية الأنا والآخر( نماذج روائية عربية)، ص٢٠.
(٣٢) ينظر: نظرية المعرفة: زكي نجيب محمود، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٦١-٦٤.
(٣٣) الفتنةُ والآخرُ( أنساق الغيرية في السرد العربي): شرف الدين ماجدولين، دار الأمان، ط١، الرباط- المغرب، ٢٠١٢م، ص ٢١.
(٣٤) التراثُ والتجديدُ: حسن حنفي، دار التنوير، ط١، بيروت، ١٩٨١م، ص ١١.

الصراعُ، بل علاقة توافقيةً تستندُ إلى الرؤيةِ الحواريةِ؛ إذ يُدركُ القارئُ الحصيفُ أنَّ كلَّ((قراءةٍ تبدأُ بمعرفةِ شيءٍ ما، معرفةِ ما يحتاجُهُ القارئُ أولًا: ماذا يريدُ أنْ يقرأه في النصِّ، وماذا يريدُ النصُّ أنْ يقولَه له؟ فالقارئُ هو الذي يقرأ النصَّ، وهو الذي يُعطيهِ دلالتَه)) (٣٥) في اللحظةِ التي يستوعبُ فيها أنَّ الأنا قد جعلتْ من الآخرِ موضوعًا لها تُمارسُ عليهِ غوايةَ المُثاقفةِ.

*** المتلقي بين الأنا والآخر(الكشفُ والتأويل):**

يُدركُ المُتلقي أنَّ الأنا في النصِّ الشعريِّ((ضميرٌ مُتكلمٌ قائمٌ بذاتِه ولذاتِه، لا يُنازعُه أو يُشاركهُ في ذاتيتِه وبصفتِه آخرٌ؛ فهو مُستقلٌّ عن غيرهِ، وإنْ كانَ مُنتجًا له وناتجًا عن علاقتِه به)) (٣٦)، وأنَّ الأنا والآخرَ في النصِّ الشّعريِّ، وقبلَه، وبعدَه؛ حُضورانِ في حُضورٍ لغويّ، وهويَّتانِ في هويةٍ إجناسيةٍ واحدةٍ، ومُتحرّكانِ في نسقٍ أنتجَتْه الأنا الشاعرةُ؛ وإنْ كانت المعرفةُ الشّعريةُ هي التي تصوغُ المعرفةَ اللغويةَ، وتبني الآخرَ أو تهدمُه بالجُملةِ الناصّةِ، والسياقِ المهُيمنِ؛ لأنَّ مرجعياتِ الذاتِ الشاعرةِ تتحكَّمُ في صورةِ (الآخرِ)؛ وحركيةُ الآخرِ وسُلطويَّتُه في الواقعِ تفرضُ حُضورَه الذهنيَّ في النصِّ الشّعريِّ، إذ يُسهمُ التوافقُ الفكريُّ والجماليُّ في صياغةِ منظومةٍ مُهيمنةٍ من الوفاقِ والوئامِ بينَ الأنا والآخرِ؛ إذ يحضرُ في النصِّ الشعريِّ صوتُ الأنا في مُواجهةِ صوتِ الآخرِ، أو نسمعُ صوتَ الآخرِ بصوتِ الأنا، أو نقرأ وعيَ الآخرِ بوعي الأنا؛ لأنَّ الأنا الشعريةَ((ذلك الضميرُ الشّعريُّ الذي يجولُ في النصِّ الشّعريِّ؛ ليحققَ الوعيَ الذاتيَّ داخلَه، ويظهرُ بضميرِ المُتكلِّمِ والمُخاطَبِ والغائبِ؛ إنه مجموعةٌ من الضمائرِ التي تنشدُ الوحدةَ فيما بينها؛ لتشكِّلَ مفهومًا كليًّا للأنا الشعريةِ داخلَ النصِّ؛ وبذلك يصبحُ لكلِّ نصٍّ أناهُ الشعريةُ التي تتحدَّدُ بتفاعلِ الضمائرِ، وبشبكةِ العلاقاتِ النحويةِ المُتعلقةِ بفعلِ الأنا وبموقِعها)) (٣٧)؛ لكنَّ الأنا الشعريةَ تُمارسُ غوايةَ الخطابِ بالفاعلِ المُتكلِّم، وتوجّه الرؤيةَ الموضوعيةَ بالسردِ الذاتيّ بمحمولاتِه الدلاليِ والذهنيةِ والوعيِ المعرفيّ الذي يحضرُ فيه الآخرُ خارجَه؛ وإنْ حضرَ داخلَه بالضمائرِ. وهذا إقرارٌ لغويٌّ بالقوةِ المنطقيةِ للذاتِ الواعيةِ التي تتحكَّمُ بصناعةِ النصِّ الشعريِّ وصياغته وبنائهِ؛ وبذلك تتمظهرُ الذاتُ الواعيةُ ذاتًا تعدُّديةً فاعلةً ناشطةً بتعدُّدِ الأصواتِ في النصِّ الشعريِّ بوصفِها ((مصدرَ أفعالِ التفكيرِ)) (٣٨).

ويُدركُ المُتلقي أنَّ (أنا وأنتَ ونحنُ) ضمائرُ لغويةٌ إشاريةٌ في السياقِ النحويّ والتركيبيّ؛ لكنها في البناءِ الفلسفي والفكريّ والحوار المنطقي((أنا وأنتَ طرفانِ مُختلفانِ، أنا لم أكنْ أنتَ ولن أكون. وأنتَ لم تكنْ أنا ولن تكون؛ فأنتَ بالنسبةِ لي تُعدُّ الآخرَ فردًا أو تنظيمًا أو دولةً أو أيَّ طرفٍ منْ أطرافِ الاختلافِ. وهكذا تكونُ أنا هي الآخرُ بالنسبةِ لكَ أنتَ)) (٣٩)؛ وبذلك نفهمُ أنَّ (الأنا والآخر) في النصِّ الشعريّ يشكِّلانِ وحدةً لغويةً مُتماسكةً مُتراصةً، ويُكوّنانِ سياقينِ أو نسقينِ مُتجاورينِ يحكمُهما الحدثُ والموقفُ والرؤيةُ والمنظورُ الثقافيُّ، والمرجعيةُ الفكريةُ؛ وهما مُركَّبانِ مُتلازمانِ تلازمًا تفاعُليًّا، إذ تُؤثِّرُ الأنا في الآخرِ ويتأثَّرُ به، ويُؤثِّرُ الآخرُ في الأنا ويتأثَّرُ بها؛ ((وبديهيٌّ أنَّ صورةَ الآخرِ ليستْ هي الآخرُ؛ لأنَّ صورةَ الآخرِ بناءٌ من خيالٍ، والصورةُ ليستْ هي الواقعُ، وإنْ كان الصراعُ حولها منْ رهاناتِ الواقع)) (٤٠)؛ لأنَّ (الذات الواعية/ الأنا الشاعرة) تنهضُ بوظيفةِ السردِ الذي تسردث فيه الذكريات والتصوراتِ والأفكار والرُّؤى والمشاعر الوجدانية والأحاسيس الشخصيةِ؛ فتظهرُ شعريةُ المتنِ المسرودِ باللذةِ الجماليةِ والصورةِ الوامضةِ المُكثَّفةِ الخاطفةِ التي تغري المُتلقي بالقراءةِ والتواصلِ والتفاعُلِ بوصفِه الآخرَ خارجَ السردِ والنصِّ الشعريِّ معًا؛ ليكونَ السردُ الشعريُّ في حقيقته وماهيتهِ سردٌ من الأنا إلى الآخرِ.

والسؤالُ المنطقيُّ: كيف نفهمُ الآخرَ، ونُدركُ صورتَه وحركيَّتَه وفاعليَّتَه وعقليَّتَه من غير أنْ تحضرَ الأنا بتجلياتِها ومظهريَّتِها وحُضورِها؟ والجوابُ الفكريُّ- العقلانيُّ: إنَّ الأنا والآخر مُتجليانِ؛ إذ تتجلَّى الأنا في الآخرِ ويتجلَّى الآخرُ في الأنا، والرؤيةُ **تجزمُ** بحضورِهما معًا في نسقٍ أو فضاءٍ أو زمنٍ أو حدثٍ؛ لأنَّ ((القولَ بالأنا يفترضُ دائمًا وجودَ الأخرِ، والعكسُ صحيحٌ؛ فتصورُ الأنا دون الآخرِ تصورٌ غير منطقيّ، ولا واقعيّ، وينسحبُ الحديثُ على الأنا الثقافي بأبعادِه المختلفةِ؛ والآخرُ دائمًا هو الدخيلُ والأجنبيُّ والمُخالفُ؛ وهو آخرُ لي، كما أني آخرُ بالنسبةِ له)) (٤١). وحين تصغي الأنا إلى صوتِ الآخر: صوت العقلِ، وصوتِ الإرادةِ، وصوت المعرفةِ، وصوت الضمير الحيّ؛ يبدأُ حوار الثقافاتِ والحضاراتِ وتلاقح الأفكار؛ وبذلك تكونُ الذاتُ الواعيةُ مُنغمسةً بالمعرفةِ والفكر والمُمارسةِ والفعلِ الذهني ، والسلوكِ الإراديّ؛ إذ تستحضرُ الذاتُ الواعيةُ الآخرَ إلى مركزِ الخطابِ، وبؤرةِ النصِّ الشعريّ، وتقومُ بنسقنةِ الأنا والآخرِ باللغةِ.

---

(٣٥) دراسات فلسفية: حسن حنفي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٥٤٦.
(٣٦) التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخرِ في الشعر العربي الحديث: د. أحمد ياسين السليماني، دار الزمان، ط١، دمشق، ٢٠٠٩م، ص١٠٤.
(٣٧) الأنا في الشعر الصوفي(ابن الفارض أنموذجًا)، ص١٨٩.
(٣٨) الذاتُ عينها كآخر: بول ركور، ترجمة وتقديم وتعليق: د. جورج زيناني، ص ٩١.
(٣٩) منطق الحوار بين الأنا والآخر: عقيل حسين عقيل، بيروت، ط١، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م، ص٤٩.
(٤٠) صورة الآخر العربي( ناظرًا ومنظورًا إليه ) : الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٥٤.
(٤١) جدلُ الأنا والآخر( قراءات نقدية في فكر حسن حنفي): مجموعة من المؤلفين، إعداد وتقديم: د. أحمد عبد الحليم عطية، مكتبة مدبولي الصغير، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢١٢.

**المصادرُ والمراجعُ**


- إشكالية الأنا والآخر(نماذج روائية عربية): د. ماجدة حمود، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٩٨، الكويت، ربيع الأول ١٤٣٤ه/ ٢٠١٣م.
- الأنا في الشعر الصوفي(ابن الفارض أنموذجًا): عباس يوسف الحداد، دار الحوار، ط٢، اللاذقية- سوريا، ٢٠٠٩م.
ـــــ الأنا والآخر والجماعة(دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه): سعد حرب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٤١٥ه/١٩٩٤م.
ـ التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخرِ في الشعر العربي الحديث: د. أحمد ياسين السليماني، دار الزمان، ط١، دمشق، ٢٠٠٩م.
- التراثُ والتجديدُ: حسن حنفي، دار التنوير، ط١، بيروت، ١٩٨١م.
ـــــ جدلُ الأنا والآخر(قراءات نقدية في فكر حسن حنفي): مجموعة من المؤلفين، إعداد وتقديم: د. أحمد عبد الحليم عطية، مكتبة مدبولي الصغير، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م.
- جدلية الأنا – الآخر: نجيب الحصادي، ط١، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦م.
- جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي(دراسة نصية): فاضل أحمد الكعود، دار غيداء، ط١،عمَّان- الأردن، ٢٠١٢م.
- جماليةُ المراوغةِ والتوظيف الضمائري للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية: أ.حاتم زيدان، وأ.د.العبد جلولي، مجلة الأثر، الجزائر، العدد(٢٩)، ديسمبر ٢٠١٧م.
ـــــ دراسات فلسفية: حسن حنفي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م.
ـــــ دراسات في الفلسفة الوجودية: عبد الرحمن بدوي، المؤسسةُ العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.
ـــــ الذاتُ عينها كآخر: بول ريكور، ترجمة وتقديم وتعليق: د. جورج زيناني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الذات والآخرُ في الشرق والغرب(صور ودلالات وإشكاليات): د. حسن شحاتة، دار العالم العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٩ه/٢٠٠٨م.
- الذاتُ والغير (بين المفهومِ الكلي والمفاهيم الفرعية): د. محمد رضا زائري، مجلة الاستغراب، العدد(١٠)،السنة الرابعة، شباط ٢٠١٨م/ ١٤٣٩ه.
- صورة الآخر في الرواية العربية: جمال شحيد، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العددان ١٠١-١٠٢، لسنة ٢٠٠٠م.
- علم ظهور العقل: هيجل، ترجمة : مصطفى صفوان، دار الطليعة، ط٢، بيروت، ١٩٩٤م.
- الفتنةُ والآخرُ(أنساق الغيرية في السرد العربي): شرف الدين ماجدولين، دار الأمان، ط١، الرباط- المغرب، ٢٠١٢م.
- فشته(فيلسوف المقاومة): حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- الفكر الوجودي عبر مصطلحه: عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٩٨٥م.
- المُثاقفةُ النقديةُ وسؤال الهوية(تفاعل الذات والآخر): سامي الوافي، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية، العدد الثاني، لسنة٢٠١٤م.
ـــــ مقدمة في علم الاستغراب: د. حسن حنفي، الدار الفنية للتوزيع ، ط١، القاهرة، ١٩٩١م.
- المعجم الأدبي: عبد النور جبور، بيروت، ط٢، دار الملايين، ١٩٨٤م.
- المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية: عبد المنعم الجفني، مكتبة مدبولي، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، القاهرة - مصر، عالم الكتب، بيروت، ١٩٧٩م.
- منطق الحوار بين الأنا والآخر: عقيل حسين عقيل، بيروت، ط١، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م.
ـــــ نحن والآخر: محمد راتب الحلاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١٩٩٧م.
- نظرية المعرفة: زكي نجيب محمود، القاهرة، ١٩٥٦م.
- نظرية الوجود عند هيجل: هربرت ماركيوز، ترجمة وتقديم: إبراهيم فتحي، دار التنوير، ط١، بيروت، ١٩٨٤م
- هو الآخرُ بالنسبةِ لي، أنا الآخرُ بالنسبةِ له: سالم جبران، مجلة مشارف، حيفا، العدد (٢) لسنة ١٩٩٥م.